خطبة صلاة الجمعة 7/2/2014 للشَّيخ الطَّبيب محمَّد خير الشَّعَّال, في جامع أنس بن مالك، دمشق – المالكي

(أخطاء شائعة)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، من يهدِهِ الله فهو المهتَدِ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرْشِداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّداً عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، خيرُ نبيٍّ اجتباه، هدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدِّين كلِّه ولو كَرِه الكافرون، ولو كَرِهَ المشركون، ولو كَرِهَ مَن كَرِه، اللَّهم صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد:

فيا عباد الله، أوصيكم ونفسيَ بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير: قال الله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: 286].

وقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: 135].

روى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قال: «**إِنَّ الْعَبْدَ إِذا أَخْطَأَ خطيئَة، نُكِتَتْ في قلبه نُكْتَةٌ، فإذا هو نَزَعَ واسْتَغْفَرَ وتابَ صُقِلَ قلبُه، وإنْ عادَ زِيدَ فيها حتى تَعْلُوَ قَلْبَهُ، وهو الرَّانُ الذي ذكره الله: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾** [المطففين:14]» [أخرجه الترمذي].

أيها الإخوة:

هذه سلسلة جديدة من الخطب نبدأها اليوم مستعينين بالله تعالى، عنوانها:

(أخطاء شائعة)

أردتُ فيها جمعَ عدد من أخطاء شاعَت حتى كدنا نظنّها الصواب، وأغلاط عمَّت حتى خِلتَها آيةً من الكتاب؛ لنصحِّح منها ما استطعنا، ولنتناصح بها ما قدرنا، فإن الله تعالى لا يُهلك قريةً أهلُها متناصحون مصلحون ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود: 117].

ولعل في إصرار العباد على مخالفة الحق تأخُّرَ الفرَج وزيادةَ الكرب ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: 63]، وَالْفِتْنَةُ هُنَا: الْقَتْلُ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، وقال عَطَاءٌ: الزَّلَازِلُ وَالْأَهْوَالُ. وقال جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ: سُلْطَانٌ جَائِرٌ يُسَلَّطُ عَلَيْهِمْ. وَقِيلَ: الطَّبْعُ عَلَى الْقُلُوبِ.

وتعلمون -أيها الإخوة- أن الخطأ ظاهرة بشرية فطرية تذكِّر الإنسان بأن الكمال ليس من خصائص البشر، فمَن مِنَّا لا يخطئ؟!

لكن الموفَّق مَن استدلَّ على خطئه أو دُلَّ عليه، فاعترف به وسعى لإصلاحه.

ولم يخالفِ التوفيقُ عبداً جَهِل خطأه، أو عَلِمه وأصرَّ عليه أو قعَد عن إصلاحه.

فليس العيب أن تقع، ولكن العيب أن تبقى أرضاً، وليس الشؤم أن تذنِب ولكن الشؤم أن تُصِرّ على ذنْبِك.

ولهذا رأيتَ الإسلام يفتح للعبد باب التوبة -وهي رجوعٌ عن الخطأ- فلا يغلقه ما دام العبد حياً، وما دامت الحياة الدنيا قائمة.

«إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيءُ النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها» [رواه مسلم]، **«إن الله يقبل توبة العبد ما لم يُغَرْغِرْ»** [رواه الترمذي]

فهذه السلسة خطوة نعرف بها بعضَ أخطائنا لنسعى في إصلاحها نستعجلُ بها الفرَج من رب العالمين.

واعلموا -أيها الإخوة- أن الخطأ في اللغة نقيض الصواب؛ **«من احْتكَرَ طَعاماً فَهُوَ خاطئ»** [رواه مسلم]. فعَل فعلاً متعمداً له هو ضد الصواب.

ويأتي الخطأ لنقيض العمد ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِناً إِلاَّ خَطَأً . .﴾ [النساء:92] يعني أنه لم يتعمد قتله، أراد -مثلاً- أن يصيد صيداً فقتل إنساناً.

والمراد بالسلسة المعنى الأول؛ الأخطاء الشائعة فينا التي نعملها مريدين لها، سواء عَلِمنا أنها خطأ فأصررنا -نسأل الله أن يغفر لنا-، أو جَهِلنا أنها خطأ ففرَّطنا -نسأل الله أن يعلِّمنا-.

هذا وقد اصطلح اللغويون على أن المُخْطِئ من أَراد الصواب فصار إلى غيره، والخاطِئ من تعمَّد لما لا ينبغي. ولهذا قال إخوة يوسف لأبيهم. ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾ [يوسف: 97]

ولم يقولوا: (إنا كنا مخطئين)؛ لأنهم تعمدوا إيذاء أخيهم من قبل.

ومهما يكن من أمر فالرجوع عن الخطأ فضيلة؛ سواء فعلتَه عامداً أو ساهياً، وسواء علمتَ أنه خطأ منذ البداية، أو ظننت صوابه ثم بان لك الخطأ فيه؛ فرجعت عنه، فالرجوع في كل ذلك فضيلة.

روى مسلم عن أَبُي مَسْعُودٍ الْبَدْرِيّ رضي الله عنه قال: «**كُنْتُ أَضْرِبُ غُلاماً لِي بِالسَّوْطِ، فَسَمِعْتُ صَوْتاً مِنْ خَلْفِي: اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ، فَلَمْ أَفْهَمِ الصَّوْتَ مِنَ الْغَضَبِ، قَالَ: فَلَمَّا دَنَا مِنِّي إِذَا هُوَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِذَا هُوَ يَقُولُ: اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ، قَالَ: فَأَلْقَيْتُ السَّوْطَ مِنْ يَدِي -وفي رواية: فَسَقَطَ مِنْ يَدِي السَّوْطُ مِنْ هَيْبَتِهِ- فَقَالَ: اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ أَنَّ اللَّهَ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَى هَذَا الْغُلامِ، قَالَ: فَقُلْتُ: لا أَضْرِبُ مَمْلُوكاً بَعْدَهُ أَبَداً -وفي رواية: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هُوَ حُرٌّ لِوَجْهِ اللَّهِ، فَقَالَ: أَمَا لَوْ لَمْ تَفْعَلْ لَلَفَحَتْكَ النَّارُ أَوْ لَمَسَّتْكَ النَّارُ-**».

فهذا صحابيٌّ جليل يخطئ عامداً أو ناسياً فيعرّفه النبي صلى الله عليه وسلم خطأه فيصحِّح، وإنها لفضيلة تُكتَب له في التاريخ والسِّيَر.

ثم إن هذه السلسلة -أيها الإخوة- معنيَّة بأخطاء شائعة في علاقاتنا الأسرية ومعاملاتنا المالية، فأنتم تعلمون أن الشريعة خمسة موضوعات كبيرة: العبادات والمعاملات والأحوال الشخصية -يعني الأسرة وما يتعلق بأحكامها- والقضاء والسياسة، وتعلمون أنني مهتمٌّ بالعلاقات الأسرية والمعاملات المالية، وأحمل لهما مشروعين مدتهما خمس عشرة سنة هذه خامستها، وتعزز هذه السلسلة هذين المشروعين.

- شعَرَت أمٌّ بدنوِّ أجلها، وخافت على أولادها الخصومة في أموالها التي سيرثونها عنها، فأرادتْ أن تقطع دابر الأمر في حياتها، فجمعَت الأولاد وقالت: إذا أنا متُّ فأوصيكم ببعضكم خيراً، وأوصي بمصاغي الذهبي للبنات يتقاسمْنَهُ بالسويَّة، والعقارات التي أملكها للذكور يتقاسمونها بالسوية. ومهما فعلتم غير هذا فلن أكون راضيةً عنكم.

لقد أخطأَت هذه الأم من حيث دَرَتْ أو لم تدْرِ، وخالفت الحق والصواب والشريعة؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**إن الله عز وجل أعطى كلّ ذي حق حقه، ولا وصية لوارث**» [الترمذي].

فأبناء هذه الأم –الذكور والإناث– وارثون بقسمة الشريعة، فلا يوصى لواحد منهنَّ أو منهم، وإنما تكون الوصية بالمال لغير الوارثين، ويرث هؤلاء وفق تقسيم الشريعة، تجمَع الأموال من المصاغ الذَّهبي والعقارات وتُقسَم للذكر مثل حظِّ الأنثيين.

– يعمل سعيد بصيانة أجهزة الحاسب والشَّبكات، تعاقدَت معه إحدى الشركات على أن يزورهم مرَّتين في الأسبوع، وكل زيارة أربع ساعات، وحدَّدتْ له أجراً شهرياً، مضافاً إليه ثمنُ كلِّ قطعةٍ يشتريها من السُّوق ليستخدمها في صيانة أجهزة الشركة.

كان سعيد يأخذ الأجر الشهري ويأخذ ثمن القطع المشتراة مضيفاً إلى فواتير الشراء بعض الزيادات التي يراها تناسب أتعابه في الشراء وتناسب الحسومات التي يُحصِّلها من الباعة.

لقد أخطأ سعيد من حيث يدري أو لم يدرِ؛ ذلك لأن الصواب أن لا يزيد على الفواتير شيئاً، ولَئِن تحصَّل على حسمٍ من الباعة فهذا الحسم مرجعُهُ للشركة لا له؛ إذ هو وكيل للشركةِ في الشراء، ومغانم الوكيل ومغارمُه ترجع للأصيل، وحسبُه أن الأجرَ المتفقَ عليه مع الشركة هو أجرٌ لجهد الصيانة وأجرٌ لجهد شراء القطع، ولَئِن شعر بغبنٍ فما عليه إلا أن يُعدِّل في بنود العقد مع الشركة، ولا يحل له أن يأخذ شيئاً زيادةً عن العقد.

إنها أخطاء في علاقاتنا الأسرية ومعاملاتنا المالية ستعرض هذه السلسلة من الخطب لها بإذن الله تعالى.

ختاماً أيها الإخوة:

أتساءل: لماذا يقع الناس في الخطأ؟

والجواب: ستة أمور هي من أسباب وقوعنا في الخطأ:

1– **الجهل**، وعلاجه العلم.

2– **غلبة هوى النفس وتسلط الشيطان**، وعلاجه: كثرة ذكر الله ومجالس العلم.

3– **اتباع بعض والتقاليد والعادات الخاطئة**، وعلاجه: عرض ما وجدنا عليه آباءنا على القرآن والسنة والعقل السديد، فما وافق رضيناه، وما خالف تركناه.

4- **رفاق السوء**، والعلاج: استبدال رفاق الطاعة بهم.

5- **إهمال الأهل تربية أبنائهم وبناتهم**، والعلاج: الْتفاتنا إلى تأديبهم وتعليمهم.

6- **ضعف المحاكمات العقلية**، وعلاجه: صحبة الحكماء والأخذ عنهم.

نسأل الله أن يعيننا على كل خيرٍ، وأن يصرف عنا كل سوء،

وأن يصحِّح أقوالنا وأفعالنا حتى يُعجِّل لنا بالفرَج.

والحمد لله رب العالمين